كلية الآداب والفنون

قسم الفنون

السنة الثانية ليسانس، دراسات سينمائية/ السداسي الرابع

مقياس: نظرية الفيلم

المحاضرة رقم 06 بعنوان:

"ليون موسيناك والبعد الاجتماعي للسينما"

1. من الفرجة إلى اللغة:

تشكّل فكر ليون موسيناك في لحظة تاريخية كانت فيها السينما تعيش ارتباكا هوياتيا، فهي لم تكن قد تحررت بعد من تبعيتها للمسرح والأدب، وكانت تُختزل في كونها وسيلة ترفيه جماهيري. داخل هذا السياق، ظهر تيار فرنسي انطباعي قاده نقاد مثل لوي ديلوك وجيرمان دولاك، حاولوا الدفاع عن خصوصية الصورة السينمائية باعتبارها حاملة لإحساس داخلي و"روح" كامنة.

غير أن موسيناك، رغم انخراطه في هذا المناخ، لم يكتفِ بالانبهار الجمالي بالصورة، بل سعى إلى تجاوز هذه المرحلة نحو بناء وعي سينمائي قائم على السؤال: ما الذي يجعل السينما فنا مستقلا؟ وهنا بدأ التحول من النظر إلى الفيلم كـ"عرض" إلى اعتباره "لغة". هذه اللغة لا تقوم على السرد فقط، بل على تنظيم العناصر البصرية والزمنية داخل بنية متماسكة. ومن هنا يمكن القول إن موسيناك أسهم في نقل السينما من مستوى الإدراك الحسي إلى مستوى التفكير النظري.

2. تنظيم الزمن داخل الصورة:

يُعد مفهوم الإيقاع المركز الحقيقي لفكر موسيناك، حيث اعتبر أن السينما، بخلاف الفنون التشكيلية الثابتة، هي فن الزمن. وبالتالي فإن ما يميزها ليس ما تعرضه من صور، بل كيف تُنظم هذه الصور زمنيا. الإيقاع عنده ليس مجرد تسارع أو تباطؤ في اللقطات، بل هو البنية العميقة التي تمنح الفيلم معناه وتأثيره.

ولشرح هذا التصور، استعان بالنموذج الموسيقي، فاعتبر أن اللقطة السينمائية تماثل النغمة، وأن مدتها تمثل قيمتها الزمنية، في حين يشكل المونتاج ما يشبه التركيب الموسيقي الذي ينسق هذه العناصر في نظام متكامل. غير أن أهمية هذا التشبيه تكمن في بعده التحليلي، حيث حاول موسيناك تحويل الإيقاع إلى عنصر قابل للقياس والدراسة، أي الانتقال به من مستوى الإحساس إلى مستوى القوننة.

هذا الطرح يجعل من الفيلم بنية زمنية محكومة بعلاقات دقيقة بين اللقطات، حيث لا تُفهم الصورة في ذاتها، بل في علاقتها بما قبلها وما بعدها. وهنا تتحول السينما إلى نظام إيقاعي معقد، يقوم على تفاعل الزمن والحركة، وهو ما يمنحها خصوصيتها كفن مستقل.

3. المونتاج والصدام:

عرف فكر موسيناك تحولا عميقا مع اطلاعه على السينما السوفيتية، خاصة أعمال سيرجي أيزنشتاين وفسيفولود بودوفكين، حيث اكتشف البعد الفكري للمونتاج. فلم يعد المونتاج مجرد أداة تقنية لربط اللقطات، بل أصبح وسيلة لإنتاج المعنى من خلال الصدام بين الصور.

في هذا الإطار، تتولد الفكرة السينمائية من العلاقة الجدلية بين لقطتين، بحيث يؤدي تتابعهما إلى خلق دلالة جديدة لا توجد في أي منهما على حدة. وهذا ما جعل موسيناك يعيد التفكير في الإيقاع، ليس فقط كبنية جمالية، بل كآلية فكرية قادرة على التأثير في وعي المتلقي.

لقد مكّنه هذا التصور من الربط بين الشكل والمضمون، حيث يصبح التنظيم الإيقاعي للقطات وسيلة لبناء خطاب فكري. وهنا تتحول السينما إلى لغة قائمة بذاتها، لا تعتمد على الكلمة، بل على الصورة المنظمة زمنيا، القادرة على إنتاج الأفكار وإثارة الوعي.

4. الالتزام الاجتماعي عن موسيناك

لم يتوقف موسيناك عند حدود التحليل الجمالي، بل وسّع رؤيته لتشمل البعد الاجتماعي، حيث اعتبر أن السينما لا يمكن أن تكون فنا معزولا عن الواقع. فالفيلم، في نظره، ليس مجرد بناء شكلي، بل هو أيضا تعبير عن سياق اجتماعي وتاريخي.

من هذا المنطلق، رفض السينما التجارية التي تمثلها هوليوود، لأنها تخضع لمنطق الربح وتُفرغ الصورة من بعدها الفكري، مقابل ذلك دعا إلى سينما وطنية ملتزمة، تعكس قضايا المجتمع وتساهم في تشكيل الوعي.

كما يظهر هذا التوجه في دفاعه عن فكرة أن السينما أداة للتغيير، حيث يمكنها التأثير في المتلقي ليس فقط عبر مضمونها، بل أيضا عبر بنيتها الإيقاعية التي تنظم إدراكه وتوجهه. وهنا يلتقي موسيناك مع الفكر السوفيتي في ربط الفن بالأيديولوجيا، دون أن يتخلى عن الحس الجمالي الذي يميز المدرسة الفرنسية.

إلى جانب جهوده النظرية، أدرك موسيناك أن تطور السينما لا يمكن أن يتحقق دون جمهور واعٍ قادر على فهمها. لذلك ساهم في تأسيس النوادي السينمائية، التي شكّلت فضاء بديلا للعرض التجاري، ومختبرا لتكوين الذوق السينمائي.

كما لعب دورا مهما في ترسيخ النقد السينمائي من خلال كتاباته في مجلات مثل Mercure de France، حيث نقل السينما من مجال الترفيه إلى مجال الفكر. وبهذا، لم يعد المشاهد مجرد متلقٍ سلبي، بل أصبح مشاركا في عملية التأويل.

وفي هذا الإطار، دافع موسيناك أيضا عن "السينما الخالصة"، التي تقوم على استقلال اللغة السينمائية، وترتكز على عناصرها الأساسية: الصورة، الحركة، والإيقاع. كما أعاد تعريف مفهوم الفوتوجيني، مضيفا إليه البعد الزمني، ليؤكد أن الجمال السينمائي لا يكمن في الصورة وحدها، بل في تنظيمها داخل الزمن.

المكتبة البيبليوغرافية:

- هنري آجيل، علم جمال السينما، تر: إبراهيم العريس.
- Moussinac, Léon, âge ingrat du cinéma.
- Hogenkamp, A.P., Léon Moussinac and the Spectators' Criticism in France (1931-34).